الأخلاق وحقيقتها في الإسلام

الباحث: عبدالعزيز أبوبكر عفط
مدرسة العلوم الإنسانية، الأكاديمية الليبية مصراتة ـ ليبيا

البريد الالكتروني: abdulaziz@lam.edu.ly

الملخص

يتضمن هذا البحث بيان مفهوم الأخلاق وأهميته في بناء الفرد والمجتمع والأمة الإسلامية جمعاء، وتوثيق مكانة الأخلاق في الدين الإسلامي، وأن الأخلاق من أهم المقاصد التي بعث بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، كما تناول الباحث الأخلاق في القرآن الكريم والسنة النبوية، وذلك بعرض بعض من الآيات والأحاديث النبوية، وبين البحث أن القرآن الكريم والسنة النبوية هما المنبعان الرئيسيان اللذان تستمد منهما الأخلاق، وأن الأخلاق الحسنة أمر ملزم ومأمور به على سائر البشرية، فالأخلاق بالنسبة للفرد والمجتمع وهي أساس الفلاح والنجاح، فبطاعة الله تطهر القلوب من الرذيلة إلى الفضيلة، وأن القرآن الكريم مؤثر في قلوب البشرية جمعاء؛ لأنه كلام الله تعالى العليم الخبير، وأن من ابتعد عن الذنوب والأخلاق السيئة تجاوز الله عنه سيئاته وزلاته، وأوصى الباحث بضرورة تضمين المناهج المدرسية بالأخلاق الإسلامية والعمل بها ،وبين أن فقدان الأخلاق الإسلامية له أثر كبير في تدهور أوضاع المسلمين وانهيارهم.

استلمت الورقة بتاريخ 2022/4/5
وقبلت بتاريخ 2022/5/15
ونشرت بتاريخ 2022/06/18

الكلمات المفتاحية:
تذكر هنا أهم الكلمات المفتاحية (الأخلاق، الإسلام، القرآن الكريم)

مقدمة:

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، تناولت في صفحات هذا البحث موضوع أزمة الأخلاق في الأمة الإسلامية، ولعل الدافع لاختيار هذا الموضوع هو التفكك والانحلال وظهور السلوكيات السلبية في هذا الزمان، وفقدان الأخلاق والقيم الإسلامية التي جاء بها ديننا الإسلامي، وأصبح الكذب حقيقة، والحقيقة كذبا، والرشوة هدية، والدعارة مهنة متداوله بين المسلمين والمسلمات في الدول الإسلامية وبتراخيص، وأصبحت الفواحش والمنكرات على حرية شخصية، وأصبح الآمر والناهي من هو ذو جاه وسلطان ومال، وحقوق الجار وذوي الأرحام مهضومة، والشيخ الفقيه في علوم الدين متطرف، فهذا حال الدول الإسلامية.

فلقد تقدم الإنسان في العقود الأخيرة إلى درجة كبيرة في العلم والتكنولوجيا وتنافسوا فيه، وفي المقابل لم يتقدموا ويتنافسوا في السلوك الأخلاقي بدرجة موازية، ما يثير هذا السؤال الجوهري أن عدم التوازن بين الجانب الأخلاقي والجانب التكنولوجي يخلق إشكالية قد تكون مدمرة، ولا تقف عند حد في المستقبل القريب أو البعيد، وهذا ما يثير القلق عند بعض الدارسين، علماً بأن هذا التقدم سيتضاعف في السنوات القادمة، فماذا سيحدث بعد إحلال الروبوت ليقوم بأعمال كثيرة بدل الإنسان؟ بالحتم ستزداد البطالة إذا لم يتحل أرباب العمل بالأخلاق، ليفضلوا البشر على الإنسان الآلي، فالمال لا زال منتصرًا على الأخلاق، ولا يمكن التغلب على ذلك إلا بالرقي بالأخلاق، والتي سوف تقودنا إلى النظر إلى مصالح الآخرين مع مصالحنا.

وكذلك من المعاملات الأخلاق الإسلامية المتعلقة بالأفعال التي يكون فيها المرء مسئولا أمام الله، ويندرج فيها النوايا أي الأفعال الباطنية؛ ولذا كان على الإنسان واجب أخلاقي يتمثل في معاملة الناس بالحسنى، والصبر على جهالة الجهلاء وسفاهة السفهاء، ولا يعاقب من أساء إليه بل يصبر حتى يأتي الله أمرا كان مفعولا (إسماعيل، 2001، ص 51). والأخلاق الإسلامية نظام من العمل من أجل الحياة الخيرة، وطريقة للتعامل الإنساني، حيث يكون السلوك بمقتضاها له مضمون إنساني، ويستهدف غايات مهمة، ويمكن تحديد مفهوم الأخلاق من نظر الإسلام بأنها: عبارة عن مجموعة المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، التي يحددها الوحي؛ لتنظيم حياة الإنسان، وتحديد علاقته بغيره، على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه (علي، 2006، ص 100).

فإعداد الإنسان الصالح غاية كل تربية، ويمكن تحقيق ذلك بالالتزام بالقيم الأخلاقية قولا وعملا، حيث إنها تعمل على تربية النفس على الفضيلة، واكسابها العادات الحسنة من أجل تهذيب قواها وتمرينها على حب الخير وفعله بشتى الصور، وتنفيرها من كل الشرور والآثام. (الغامدي، 2007، ص 47).

والأزمة الكبرى أن الأسرة والمدرسة والمسجد من المؤسسات التي لها علاقة مباشرة مع الفرد، فبنهوض هذه المؤسسات والرفع من قيمها وأخلاقها ينهض الفرد والمجتمع، فقد أصبحت هذه المؤسسات في وقتنا الحاضر فاقدة لكل رمز من رموز القيم والأخلاق الإسلامية، والتي ساهمت فيه بصفة كبيرة التكنولوجيات الحديثة، فلم يعد للأسرة الشخصية القوية والملهمة لأفراد أسرتها، وأصبح الشارع هو الحاضن والمربي الأول

للأطفال، وذلك لانشغال الأبوين بالعمل وجمع المال والسفر والسياحة، فهذا شغلهم الشاغل، والفرد داخل الأسرة يتكون لديه دروس الرذيلة والغش وغيرها من القيم الغير أخلاقية، فهذا ما يتلقاه الإنسان في عصرنا الحاضر، فقوة تمجيد السارق والفاسد على حساب المتفوق والمثقف الذي أصبح بلا قيمة؛ فهذا من أثر العولمة التي أدى إلى تحطيم الدين والأخلاق الإسلامية والهوية الإسلامية.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى :

- التعرف على مفهوم الأخلاق.
- بيان مكانة الأخلاق في الإسلام.
- بيان أهمية الأخلاق للمسلمين.
- التعرف على الأخلاق في القرآن الكريم والسنة النبوية.

مشكلة البحث:

إن التغيرات والتطورات السريعة في هذا العصر _والتي تعتبر بمثابة تحديات_ انعكست بدورها على النسق القيمي والخلقي للمجتمع، تستوي في ذلك الدول النامية والمتقدمة بحيث أصبحت تربية الفرد في هذا العصر الذي يتميز بسرعة التغيير، والعدد الكبير من التحديات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية أمر بالغ الصعوبة على التربويين في جو ومناخ مفعم بالصراع بين عوامل متضادة وليست متكاملة، وفي مناخ تسوده قيم غير ثابتة، سريعة التحول، متعددة الاتجاهات، ترتبط بتحولات السوق وصناعته، مثل: الدعوة إلى الفردية والصراع وزيادة الاستهلاك وبث قيم الخضوع والاستسلام (ابن دهيش1421 ، ص 3).

والمشكلة التي نراها في العالم الإسلامي أن هناك فجوة بين المسلم والالتزام بالأخلاق التي نادى بها الإسلام وحث عليها في الكتاب والسنة، ونرى الإسلام في واد وكثير من المسلمين في واد آخر، يكتفون من الإسلام بالاسم والهوية والجنسية فحسب، بعيدين عن تعاليمه، غير ملتزمين بتوجيهاته.

وأن انهيار الأخلاق وفساد المجتمعات مرده إلى ضعف الإيمان أو فقدانه كله بحسب مقدار الشر الموجود، وحقًا فالإيمان القوي يلد الخلق القوي حتميا (خلق المسلم ، 1987، ص 10)، فسبب انهيار الدول الإسلامية أنها لم تتطبق القيم الإسلامية والأخلاقية السمحة، كالصدق في التعامل مع الرعية، والأمانة في الأموال العامة، وفي المرافق التربوية والتعليمية والصحية، وللأسف الشديد نرى أن القيم الأخلاقية تزداد ازدهارا في الدول الأوروبية، على عكس ما نراه عند المسلمين، فاحترام الإنسان لأخيه الإنسان من الأخلاق الراقية التي كانت في السابق أخلاق المؤمنين، فلا تجد جارا يؤذي جاره، ولا غشا في الأسعار والأغذية والأدوية فكله دليل على وجود أزمة في الأخلاق الإسلامية.

فثورة المعلومات والاتصالات والثورة العلمية والتكنولوجية قد تخطت حواجز الزمان والمكان، ونتج عنها متغيرات يتجه بها العالم نحو نظام عالمي جديد يتغير فيه نمط الحياة؛ مما جعل لهذه الثورات انعكاسات اجتماعية وأسرية وأخلاقية؛ يترتب عليها التفكك الأسري والانحلال الأخلاقي، وتفشي سلوكيات غير مرغوب فيها كالعنف والجريمة والإدمان. وهذا يؤكد ما نشاهده على التواصل الاجتماعي من اتجاهات سلبية عميقة، وانحدار مستويات الأخلاق؛ فلهذا أصبحت الحاجة للتعليم الأخلاقي لغرس القيم الأخلاقية العالية لدى الناس بجميع مستوياتهم، فهناك دول كثيرة تضع الأخلاق في مناهجها التعليمية من السنوات الأولى.

فالتربية الأخلاقية ليست منهجا محددا في التعليم، فالتربية الأخلاقية تعني الكثير من الأشياء في النفس البشرية والتي تعلمها الانسان من الأسرة أو المدرسة وغيرها من المؤسسات التربوية الأخرى.

ففي دراسة بعنوان: «التربية والأزمة الأخلاقية في المجتمع المصري :المظاهر والأسباب والحلول» -2012-، للدكتورة رانيا وصفي عثمان، مدرسة بقسم أصول التربية، كلية التربية جامعة دمياط، ترصد فيها كيف أن المجتمع المصري يعاني من عِلل أخلاقية خطيرة، والأزمة في المدرسة وفي المجتمع أزمة أخلاقية، وإذا أردنا تنمية الإنسان وجعله منتجًا حضاريًا فإنه يجب تنمية الجانب الأخلاقي فيه أولًا، الأمر الذي يفرض على المؤسسات التربوية أن تقوم بدورها في تربية النشء على الالتزام بالأخلاق الفاضلة، وإن الكثير من الأخلاق انحرفت عن مسارها الصحيح، وأصبحت بمثابة المرض الذي ينخر جسد المجتمع؛ حيث صار الكذب والتلون والخداع والغش والاحتيال مكان الصدق بين أفراد المجتمع؛ للحصول على منافع أو التهرب من مسئوليات وواجبات، أو لتسويق أفكار ومبادئ؛ فضاعت الحقائق وتشوهت؛ لإحساس الفرد العادي بتزييفها أو قلبها.

فمن هنا تتمثل مشكلة البحث في الآتي:

-ما المقصود بالأخلاق؟

- ما هي مكانة الأخلاق في الإسلام؟

-ما أهمية الأخلاق للمسلمين؟

-ما هي أبرز الأخلاق في القرآن الكريم والسنة النبوية ؟

منهج البحث:

أما بالنسبة للمنهج المتبع: فقد استدعت منا هذه الدراسة أن نعتمد المنهج الاستقرائي، باستقراء نصوص القرآن الكريم في إطار التأصيل والاستدلال بالأخلاق في الإسلام.

الخاتمة: النتائج والتوصيات.

مخطط البحث:

قسم الباحث دراسته إلى مقدمة وأربعة مباحث، ثم تلي هذه المباحث النتائج والتوصيات والمراجع، وفيما يلي بيان ذلك:

المقدمة: وفيها ذكر الباحث أهداف البحث، ومشكلة البحث ، والمنهج المتبع في ذلك.

المبحث الأول: مفهوم الأخلاق.

المبحث الثاني: مكانة الأخلاق في الإسلام.

المبحث الثالث: أهمية الأخلاق للمسلمين.

المبحث الرابع: الأخلاق في القرآن الكريم والسنة النبوية.

.

المبحث الأول
مفهوم الأخلاق

تعريف الأخلاق

في اللغة: جمع خلق، وهو السجية والطبع.

القاموس المحيط مادة الخلق

والجمع أخلاق لا يكسر على ذلك، والخلق (بسكون اللام) والخلق (بضم اللام) السجية، وهو الدين والطبع، وحقيقته أنه صورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافه ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة. (المسعودي،2008).

وفي الإصلاح:

لقد وردت تعريفات كثيرة في الأخلاق، منها:

ذكر الغزالي حين عرف الخلقُ بقوله: "الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية" (الغزالي 2004، ص 53).

وعرفها ابن مسكويه (421 ص 41) :"حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية".

وعرفها دراز 1953 ص 4) بأنها: " قوة راسخة في الإرادة تنزع إلى اختيار ما هو خير وصلاح، أو اختيار ما هو شر وجور"

وعرفها حينكة (2004) على أنها: صفة مستقرة في النفس فطرية أو مكتسبة ذات آثار في السلوك المحمود أو المذموم.

المبحث الثاني
مكانة الأخلاق في الإسلام

إن الله سبحانه وتعالى أرسل الرسل ليبصّروا الخلق طريق الخير فيتبعوه، وطريق الشر فيجتنبوه، (ولكن الناس لا يستطيعون أن يتوصلوا إلى معرفة الفضائل الإنسانية والكمالات الخلقية كلها، وهذا يكشف لنا حاجة الناس إلى رسل من عند الله معلمين ومبشرين ومنذرين، ولذلك أرسل لهم الرسل بحكمته، فلم يبق لهم عذر به يعتذرون) عبد الرحمن حبنكه والشيخ محمد الغزالي (1430، ص84).

وأن الأخلاق من أهم المقاصد التي بعث بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ سورة الجمعة (2)، والتزكية هنا تطهير القلب من الغل والحسد والشرك، وتطهير الأقوال والأفعال من الأخلاق والعادات السيئة، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ" البيهقى (21301)، فمن أهم أسباب البعثة هي الرقي بالأخلاق الإسلامية لدى الأفراد والمجتمع.

وتتضح مكانة الأخلاق في الإسلام في كثرة النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تدل على الأخلاق الإسلامية، نذكر منها على سبيل المثال :

قال تعالى في قصة يوسف عليه السلام ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۖ﴾ سورة يوسف (92) وهذا دليل على العفو والتسامح والدعاء لهم بالمغفرة والرحمة، وهذا هو معنى الإحسان.

وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بصيرا﴾ سورة النساء (58)، فهذا أمر عام لجميع المسلمين بأن يؤدوا الأمانة إلى أهلها، فالأمانة ليست الودائع فقط، فالدين أمانة، والرعية أمانة، والمال أمانة، والوظيفة أمانة وغيرها.

وقال تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ سورة الأنعام (152)، فهذا دليل على رحمة الله تعالى باليتامى وعدم قرب مالهم إلا إذا كان الغرض تنميته بالإحسان أو بالطرق المأمور بها حتى يبلغ الرشد والنضج، وكذلك الوفاء بالكيل والميزان ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، والعدل في القول حتى ولو كان الذي تعلق به القول ذا قربى منكم والوفاء بعهد الله.

وفي الصلاة فهي ناهية عن إقامة الفحشاء والمنكر، والتي يجد لها المصلي أثرا في سلوكه، قال تعالى: ﴿ٱتْلُ مَا أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ سورة العنكبوت (45)

وفي الزكاة تهذيب للنفس وتزكيتها من الأخلاق السيئة، وتطهير لها من دنس الذنوب، وزيادة للناس في أخلاقهم الحسنة ،وأعمالهم الصالحة، وتنمية أموالهم، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ سورة التوبة (103)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :"إ إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ" البيهقى عن أبى هريرة، وهذا دليل على أن إتمام مكارم الأخلاق الغاية الأولى من بعثته – صلى الله عليه وسلم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى عليه وسلم ((أكمَلُ المؤمنينَ إيمانًا أحسَنُهم خُلُقًا، وخيارُكم خيارُكم لنسائِهم))؛ رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، أن أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا.

وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول :"أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَسَكَتَ الْقَوْمُ فَأَعَادَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، قَالَ الْقَوْمُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَحْسَنُكُمْ خُلُقًا" مسند أحمد، وهذا دليل على أن أقرب الناس مجلسًا من رسول الله – صلى الله عليه وسلم- أحسنهم أخلاقًا.

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ – رضي الله عنه- قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ" سنن الترمذي، إن أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة حسن الخلق.

وأما من كان ضعيف الإيمان والأخلاق فقد حذرنا الله سبحانه وتعالى منهم وأمرنا بالابتعاد عنهم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ) الترمذي. وَقَالَ: "آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ" أخرجه مسلم. وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو- رضي الله عنهما- عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا وَإِنْ كَانَتْ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ فِيهِ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ) رواه الترمذي . وهذا دليل على أن ضعف الأخلاق الإسلامية علامة من علامات النفاق، والتي نها الله سبحانه وتعالى عنه ومنع الناس من الاقتراب ممن يتصف بصفات المنافقين.

فالأخلاق الحسنة أمر ملزم ومأمور به على سائر البشرية، وجزء راسخ مرتبط بالدين من كل جوانبه، والأخلاق السيئة منهي عنها، وهي مخالفة للقرآن والسنة، مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) سورة القلم الآية 4، وكما أن الأخلاق الإسلامية هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان، والأخلاق السيئة هي أمراض للقلوب، فكما اشتدت عناية الأطباء بأمراض الأبدان والتي ليس بمرضها إلا فوات الحياة الفانية، وأما أمراض القلوب فتحتاج إلى عناية وقوانين تحكمها؛ لأن في مرضها فوات للحياة الباقية، وهذا النوع من الطب واجب تعلمه؛ لأنه لا يخلو قلب من القلوب إلا وبه أسقام، لو أهملته ازداد وتراكم، فيحتاج الإنسان إلى معرفة أسبابه والإسراع في علاجه وذلك بالرجوع إلى تقوى الله سبحانه وتعالى، فمعالجتها هو المراد بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ سورة الشمس الآية 9 ، وإهماله هو المراد بقوله ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ سورة الشمس الآية 10، فيقول ابن كثير في تفسير هذه الآية قد أفلح من زكى نفسه أي بطاعة الله عز وجل وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل، وقد خاب من ركب المعاصي وترك طاعة الله عز وجل، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن من مقاصد بعثته إتمام محاسن الأخلاق، فقال صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، الراوي : أبو هريرة |المحدث : الألباني |المصدر : السلسلة الصحيحة فهذا دليل على أن قدوة المسلمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، جاء الإسلام ليكمل ما بناه الأنبياء والرسل الذين من قبله من الأخلاق الحميدة ولكي يرفع شأن المسلمين إلى أعلى الدرجات بالأخلاق الحسنة، فقد كانت بعثته ليتمم مكارم الأخلاق؛ وذلك لأهميتها للفرد والمجتمع والأمة الإسلامية.

المبحث الثالث
أهمية الأخلاق

إذا ألقينا نظرة على الأخلاق قبل الإسلام وبعده؟ كانت العرب قبل الإسلام تشرب الخمر، ويوئدون البنات، ويلعبون الميسر، وانتشري الحروب فيما بينهم، فكان المحاربون يفعلون في البلاد التي يدخلونها ما يشاؤون من قتل وسلب وشرب للخمر واغتصاب وتدمير وإبادة جماعية لأهلها وغيرها من الأفعال، فلما جاء الإسلام أبطل العادات السيئة، وعزز من العادات الحسنة فعندما وصل الإسلام إلى أندونيسيا لم يصلوا إليها بالسيف، وإنما كان التجار الذين انطلقوا من الجزيرة العربية بأخلاقهم ومعاملتهم إلى تلك الدول فزرعوا أخلاقهم بمعاملتهم وأحبهم الناس وفتحوا قلوبهم لقبول الدين طائعين غير مكروهين، فلقد كانت الأخلاق الإسلامية تفتح القلوب والدول قبل السيوف والقتال (الخاني، 2012).

"فالقيم الأخلاقية لها أهمية كبرى خاصة في عالم اليوم والغد الذي يموج بمتغيرات بالغة الأهمية بما يحمله من مضامين وتوجهات سياسية واقتصادية واجتماعية، وبما يصاحبه من ثورات علمية وتكنولوجية ومعلوماتية واتصالية" (عمار وآخرون 2002).

وتتجلى أهمية الأخلاق من خلال كثرة النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث على مكارم الأخلاق، مع تنوع مواضيعها، وتعدد معالجاتها لكثير من المشكلات الاجتماعية على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع، لذلك سنذكر بعضاً من تلك النصوص الكريمة والأحاديث الشريفة ومنها:

أولًا- الأخلاق الحسنة امتثال لأمر الله ورسوله:

قال تعالى :﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ سورة النحل الآية 90. فسر ابن كثير هذه الآية بأن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بالعدل والإحسان وأمر بصلة الأرحام، ونهى عن الفواحش والمحرمات والمنكرات ما ظهر منها وما بطن، وكذلك العدوان على الناس.

وقوله تعالى :﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ سورة الأعراف الآية 199. وقوله تعالى :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ سورة الحجرات الآية 6، فهذا دليل وتوجيه إلى الخلق الحسن، الذي ينبغي على المسلم لن يتحلى به، وهو عدم الإسراع في الحكم على الغير حتى يتيقن من صدق الخبر ويثبت صدقه، وحتى لا يندم المسلم على فعل هذا الأمر ويقع في الإثم؛ فيحصل ما لا يحمل عقباه كالقطيعة أو الوفاة وغيرها، فيجب على كل مؤمن أن يتحرى الصدق في كل أقواله وأفعاله.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن" رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

ثانيًا- الأخلاق الحسنة إحدى مقومات شخصية المسلم:

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ سورة الحجرات الآية 13، يأيها الناس إنا خلقناكم من آدم وحواء وجعلناكم أنسابا وأصهارا وقبائل وشعوبا للتعارف والتواصل وأن أكرمكم عند الله من راعى حدود الله تعالى أمرا ونهيا، واتصف بما أمر الله به، وابتعد عما نهى الله سبحانه وتعالى عنه، وأن التفاضل عند الله بالتقوى والعمل الصالح لا بالأنساب والأحساب (تفسير القرطبي). ويقول رسولنا صلى الله عليه وسلم: "إنَّ الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم". رواه مسلم.

ثالثًا- الارتباط الوثيق بين الأخلاق والدين الإسلامي عقيدة وشريعة:

إن ارتباط الأخلاق بالعقيدة وثيق جدًّا، فالعقيدة دون خُلُق، شجرة لا ظل لها ولا ثمرة، وكذلك ارتباطها بالشريعة، لذا قال تعالى :﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ﴾ سورة العنكبوت الآية 45، ففي الصلاة أقوال كالتكبير والتحميد والتسبيح والدعاء والاستغفار وقراءة الفاتحة، وأفعال كالقيام والركوع والسجود، فالصلاة في مجموعها ناهية عن الفحشاء والمنكر والمعاصي.

رابعًا- آثارها في سلوك الفرد والمجتمع:

فالأخلاق بالنسبة للفرد هي أساس الفلاح والنجاح، فطاعة الله تطهير للأخلاق من الرذيلة إلى الفضيلة، وتزكية النفس بالإيمان وطاعة الله سبحانه وتعالى واجتناب ما نهى الله عنه فقال تعالى :﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ الشمس: 9-10، ويقول سبحانه :﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ سورة الأعلى الآية 14-15، أي قد أفلح من زكى نفسه وطهرها من الكفر والمعاصي، وأصلحها بالصالحات والأعمال (تفسير

الطبري)، وقد فاز من طهر نفسه من الأخلاق السيئة وذكر الله وحده ودعاه وعمل بما يرضي ربنا سبحانه وتعالى (التفسير الميسر).

وأما أثرها في سلوك المجتمع كلِّه، فهي الأساس لبناء المجتمعات، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ سورة العصر الآية 1-3، فأقسم الله سبحانه وتعالى بالعصر بأن الإنسان في خسران إلا من تخلق بهذه الأخلاق: الإيمان بالله وحده، والعمل الصالح، ثم تواصى بالحق والدعوة إليه وصبر بإيمانه وعمله، فهؤلاء هم الرابحون في الدنيا والآخرة.

وتظهر أهمية الأخلاق في ترشيد السلوك الإنساني في كونه يرتبط بالضرورة بالعلاقات مع الآخرين، وأن كل طرف من أطراف هذه العلاقات يسعى نحو تعظيم منفعته؛ مما قد يحدث تعارضاً بين هذه المنافع، وعدم وجود ضوابط أخلاقية قد يؤدي إلى الإضرار بالعلاقة مع الآخرين، مما يلزم معه وجود موازين تعمل على تحقيق التوازن بين المصالح المتعارضة، من أجل خير الجميع وسعادتهم، وهذه الموازين هي القيم الأخلاقية. (عمر، 2000، ص 5)

المبحث الرابع
الأخلاق في القرآن الكريم والسنة النبوية

إن القرآن الكريم مؤثر في قلوب البشرية جمعاء؛ لأنه كلام الله تعالى العليم الخبير، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وتأثيره على العلماء وغيرهم من أهل العقول، وزيادة في إيمان العبد، وكذلك فأن تدبر معاني القرآن الكريم هو العلاج الأعظم للقلوب، وفيه تنشرح الصدور، وتستنير القلوب، والعمل بالقرآن الكريم هو الغاية الكبرى من إنزاله: قال تعالى في كتابه الكريم ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ سورة ص، الآية 29. فالعمل هو تصديق أخباره، واتباع أحكامه وفعل ما أمر الله به، وترك جميع ما نهى الله عنه (القحطاني، 2015).

وإن رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم هو أسوتنا وقدوتنا، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين، بعثه الله رحمة للعالمين ليقتدوا به في أخلاقه ومنهجه وسلوكه؛ فكان خلقه القرآن، ومن كان خلقه القرآن كان قدوة صالحة لكل زمان ومكان، قال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ سورة القلم الآية 4، فسرها الطبري بأن الله سبحانه وتعالى ذكر لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأنه على خلق عظيم وأدب عظيم وذلك أدب القرآن الذي ادبه الله به وهو الإسلام وشرائعه، فأنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، من ظلمات الجهل والكفر والأخلاق السيئة إلى نور العلم والإيمان والأخلاق الحسنة، وهذا كله بإرادة الله سبحانه وتعالى وبإذنه ومعونته، فقال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىَ النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىَ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ سورة إبراهيم الآية 1.

وأن قارئ القرآن يجد في كثير من آياته الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة، والتحذير من الأخلاق السيئة، قال الله سبحانه وتعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ سورة البقرة الآية 278، وقال أيضا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ سورة النساء الآية 29، أي لا يأكل بعضكم أموال بعض، وهذه من الأخلاق السيئة التي حذرنا الله سبحانه وتعالى منها ، وقال تعالى في الخمر والميسر والأنصاب والأزلام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ سورة المائدة الآية 90. يقول القرطبي في تفسير هذه الآية: يأيها الذين صدقوا الله ورسوله إن شرب الخمر والقمار وذبح الأنصاب والاستقسام بالأزلام هذا كله من عمل الشيطان وتزيينه لكم، فاجتنبوه واتركوه لكي تدركوا الفلاح عند رب العالمين.

إنَّ الأخلاق الرّاقية جزءٌ مهمٌّ من العقيدة الإسلامية؛ فالعقيدة الصَّحيحة لا تكون بغير خلقٍ، وقد ربَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صحابته على مكارم الأخلاق بأساليب متنوعةٍ، وكان صلى الله عليه وسلم يتلو عليهم ما ينزل من قرآن، فإذا سمعوه وتدبَّروه عملوا بتوجيهاته، والمتدبّر للقرآن المكّيّ يجده مليئاً بالحثِّ على مكارم الأخلاق، وعلى تنقية الرُّوح، وتصفيتها من كلّ ما يعوق سيرها إلى الله تعالى، ورسول الهدى صلى الله عليه وسلم القدوة الكاملة، والمربّي النَّاصح للأمَّة كان على خلقٍ عظيمٍ، ولقد سار النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم على المنهج القرآنيّ في تربية أصحابه على الأخلاق الكريمة، وكانت الأخلاق تعرض مع العبادة والعقائد في وقتٍ واحدٍ؛ لأنَّ العلاقة بين الأخلاق والعقيدة واضحةٌ في كتاب الله تعالى، وقد بيَّن سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين الأخلاقيات الإيمانيَّة الَّتي ينبغي أن يكون عليها المؤمنون بـ (لا إله إلا الله)، وأنَّ الأخلاق ليست شيئاً ثانوياً في هذا الدِّين، إنَّما هي ركيزةٌ من ركائزه، كما أنَّها شاملةٌ للسُّلوك البشريّ كلِّه، والإيمان ليس مشاعر مكنونةً في داخل الضَّمير فحسب؛ إنَّما هو عملٌ سلوكيٌّ ظاهرٌ، ولذلك نجد القرآن الكريم يربط الأخلاق بالعقيدة ربطاً قويّاً (الصلابي، 2021)

وأن القرآن الكريم يحتوى على النسق القيمي الإسلامي بأبعاده المتعددة، فهذا المصدر الأول للإلزام الخلقي، وهو جامع لكل ما يحتاج إليه البشر من موعظة حسنة لإصلاح أخلاقهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة، قال تعالى: (يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِن رَبِّكُمْ وَشِفاءٌ لما فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلمؤمنين) سورة يونس الآية 57.

ثم ذكر الله سبحانه وتعالى أن من ابتعد عن الذنوب والأخلاق السيئة تجاوز الله عن سيئاته وزلاته، قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مَّدْخَلاً كَرِيماً﴾ سورة النساء الآية 31، فهذا دليل على مغفرة ورحمة الله التي وسعت كل شيء، فإذا تباعد العبد عن السلوكيات والأخلاق السيئة كان جزاؤه التكفير عن السيئات والدخول في دار النعيم، حيث يقيمون فيها مكرمين مخلدين، فقد دعا الله سبحانه وتعالى إلى الالتزام بالأخلاق الحسنة، وحذرنا من السيء منها في العديد من المواقع في القرآن الكريم، نذكر منها:

ففي حفظ الدِّين: قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰناً﴾ سورة الأنعام الآية 152. وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ سورة الأنعام الآية 154، فأمَرَ سبحانه عباده أن يوحِّدوه بالعبادة، وأن يتَّبعوا صراطه المستقيم، الَّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه.

وفي طاعة وبر الوالدين قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ سورة الإسراء الآية 24، أي أن تتواضع لهما وتتذلل، وتطيعهما فيما أمراك به مما لم يكن مع معصية الله، رحمة منك بهما وشفقة عليهما، إذ هما قد احتاجا إلى من كان أفقر الخلق إليهما، وذلك منتهى ما يكون من الضراعة والمسكنة، وقوله :﴿من الرحمة﴾، أي أن يكون ذلك التذلل رحمة بهما ورأفة بهم، لا من أجل امتثال الأمر وخوف العار فقط، فتذكّر نفسك بما تقدّم لهما من الإحسان إليك، وقد مثل حاله معهما بحال الطائر إذا أراد ضم فرخه إليه لتربيته، فإنه يخفض له جناحه، فكأنه قال للولد: اكفل والديك، بأن تضمهما إلى نفسك، كما فعلا ذلك حال صغرك (المراغي، 1946).

وفي الندب والحض على التحلي بالأخلاق الحميدة كالنهي عن الامتناع عن الصدقة، قال -تعالى-: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ سورة النور الآية 22، وفي الصفح قال -تعالى-: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ سورة النحل الآية 126، والمسارعة إلى فعل الخير، قال -تعالى-: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ﴾ سورة البقرة الآية 110، وقال -تعالى-: ﴿فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ﴾ سورة البقرة الآية 148، وفي حفظ النَّفس: في قوله تعالى: وقوله: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ مِنْ إِمْلاَقٍ﴾ سورة الأنعام الآية 151، وقد وضعت الشَّريعة الوسائلَ الكفيلةَ ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ سورة الإسراء الآية 33، بإذن اللهَّ – بحفظ النَّفس من التَّعدِّي عليها، ومن هذه الوسائل: تحريمُ الاعتداء عليها، وسدُّ الذَّرائع المؤدِّية إلى القتل.

وإن أخلاق النبي - صلى الله عليه وسلم- كانت استجابة لدعائه المتكرر: " اللَّهُمَّ كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي"، رَوَاهُ أَحْمَدُ وَصَحَّحَهُ اِبْنُ حِبَّانَ، فقد استجاب الله تعالى له وفاء بقوله عز وجل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ سورة غافر الآية 60، فأنزل عليه القرآن وأدبه وكان خلقه القرآن، ولقد أدب القرآن سيد الخلق، فقال - عز وجل- : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ سورة الأعراف الآية 199، وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ سورة النحل الآية 90، وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ سورة لقمان الآية 17، وفي قوله: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ سورة المائدة الآية 13، وقوله: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ سورة فصلت الآية 34، وقال جلا وعلا: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ سورة آل عمران الآية 134، وغيرها الكثير من الآيات.

فمعاني هذه الآيات تدل على سمو أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، وتطبيقه إياها، وكيفية الأمر بها كالعفو عن المذنبين، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإعراض عن السفهاء والجاهلين، والأمر بالعدل والإحسان بالمسلمين، وإعطاء كل ذي حق حقه، وخاصة ذوي القربى والنهي عن المنكرات والمعاصي والفواحش والذنوب، والصبر عند الشدائد ونزول المصائب، والعفو والصفح للمسيء والمخطئ، والدفع بالتي هي أحسن، ومقابلة الإساءة بالإحسان، والعفو عنه، والعمل معه باللين والكلام الطيب، هذه كلها من الأخلاق النبيلة والصفات الكريمة التي اتصف بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأمر بها أمته من بعده.

فالقرآن الكريم هو الأصل في الأخلاق الإسلامية؛ لأنه يربط بين القول والعمل والقيمة والسلوك، والأخلاق في الإسلام أداء للعمل الطيب، وتجنب للعمل الضار، والخوف من الله سبحانه وتعالى، وأن الالتزام الأخلاقي هو قانون أساسي تدور حوله القيم الأخلاقية (الشهري، 2019).

ولمّا كان - عليه الصلاة والسلام- هو المقصود الأول بالتأديب والتهذيب، فقد أدبه القرآن، ليؤدب هو الخلق به، وينشر النور الذي ملئ قلبه منه، لذلك قال - صلى الله عليه وسلم-: " إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ" البيهقي عن أبي هريرة، ثم رغب الخلق في محاسن الأخلاق، وحين أكمل الله تعالى خُلُقه أثنى عليه فقال تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) سورة القلم الآية4.

إن حسن الخلق هو ركن الإسلام العظيم، وأن المؤمنين يتفاوتون في أخلاقهم ومعاملاتهم، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق خلقا قدوة حسنة نقتدي بها، فعن أبي ثعلبة الخشني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إنَّ أحبَّكم إليَّ وأقربَكم منِّي في الآخرةِ محاسِنُكم أخلاقًا وإنَّ أبغضَكم إليَّ وأبعدَكم منِّي في الآخرةِ أسوَؤُكم أخلاقًا الثَّرثارون المُتفيهِقون المتشدِّقون) صحيح : رواه أحمد (17661) وابن حبان (482) والطبراني في الكبير (588) والبيهقي في الشعب (3214) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (1535).

وعن أَبى الدَّرداءِ :τأَن النبىَّ ﷺ قالَ :مَا مِنْ شَىءٍ أَثْقَلُ فى ميزَانِ المُؤمِنِ يَومَ القِيامة مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ، وإنَّ اللَّه يُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيَّ رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى اله عليه وسلم (إنّ المؤمِنَ لَيُدركُ بحُسنِ خُلقِه دَرجةَ الصَّائمِ القائمِ) .صحيح: رواه أحمد (4798) وأحمد (6\187) وصححه الشيخ الألباني في (صحيح الجامع) برقم (1928).

فهذا دليل على أن أقرب الناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنهم أخلاقا، فكلما كانت الأخلاق عالية كنت أقرب إلى الله ورسوله من غيرك، وأبعد الناس منزلة من رسول الله صلى الله عليه وسلم هم كثيرو الكلام، والمتطاولون على الناس بكلامهم، ويتكلمون بتكبر وتعال، فيجب على الإنسان أن يعرف قدر نفسه، وألا يتكلم في لا يعنيه، وعليه بالتواضع؛ حتى ولو أنعم الله عليك بجميع النعم كالمال والبنون والعلم والجاه والسلطان وغيرها من النعم، وكذلك أثبت لنا النبيء صلى الله عليه وسلم أنه لا يوجد شيء أثقل في الميزان يوم القيامة عند الإنسان المؤمن من حسن الخلق، فالمؤمن بحسن خلقه درجته يوم القيامة، مثل: الذي يقيم اليل ويصوم النهار فهذا دليل على مكانة الأخلاق وعلوها.

النتائج:

1- إن حسن الخلق ركن الإسلام العظيم، وأن المؤمنين يتفاوتون في أخلاقهم ومعاملاتهم.
2- الالتزام بالأخلاق الإسلامية قولا وعملا، تعمل على تربية النفس على الفضيلة، وإكسابها العادات الحسنة.
3- إن قارئ القرآن يجد في كثير من آياته الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة والتحذير من الأخلاق السيئة.
4- إن الأخلاق من أهم المقاصد التي بعث بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك لتطهير القلب من الغل والحسد والشرك وتطهير الأقوال والأفعال من الأخلاق والعادات السيئة.
5- الأخلاق الحسنة أمر ملزم ومأمور به على سائر البشرية، وجزء راسخ مرتبط بالدين من كل جوانبه، والأخلاق السيئة منهي عنها، وهي مخالفة للقرآن والسنة.
6- الأخلاق بالنسبة للفرد والمجتمع أساس الفلاح والنجاح، فبطاعة الله تطهير الأخلاق من الرذيلة إلى الفضيلة.
7- إن القرآن الكريم مؤثر في قلوب البشرية جمعاء؛ لأنه كلام الله تعالى العليم الخبير.
8- إن من ابتعد عن الذنوب والأخلاق السيئة تجاوز الله عن سيئاته وزلاته.

التوصيات:

1. تضمين التربية الأخلاقية في المناهج الدراسية، ولاسيما مناهج التربية الإسلامية.
2. إجراء دراسة مقارنة في التربية الأخلاقية بين العلماء المسلمين وبين النظريات الغربية، وكيف نظرت إلى تهذيب الأخلاق.
3. إجراء دراسات تبين مدى خطورة الإنسان في افتقاده للأخلاق الإسلامية.
4. إجراء دراسات لمعرفة أسباب ظهور الأخلاق السلبية، وطرق علاجها.
5. دراسة الأخلاق بين الواقع والمأمول في الدول الإسلامية.
6. الشعور بأن تعليم الأخلاق لا يتأتى إلا بالممارسة العملية والشعور بالمسؤولية الأخلاقية.
7. إخراج سلسلة من الكتب تحت مسمى الأخلاق الإسلامية، وإقرارها ضمن المقررات الدراسية.
8. استخدام الوسائل الحديثة في نشر القيم الأخلاقية.

الخاتمة:

الأخلاق الإسلامية تقوم على أسس عظيمة ومبادئ جليلة، معيارها كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلها القدرة على مواكبة العصر والتطور، ولا تتغير مهما تغيرت الحياة، وصالحة لكل زمان ومكان ،فهي تحتضن جميع الفضائل والأعمال الحسنة، وذلك لصالح الفرد والأسرة والمجتمع والأمة الإسلامية جمعاء، وأن المسلم بدون أخلاق كالشجرة بدون أوراق، فارتباطها بالدين ضروري ومحتم لا انفصام له؛ لأنه سينتج عنه السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة.

وختاما نسأل الله العظيم أن يرزقنا التخلق بالأخلاق الحسنة أخلاق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته الأخيار، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع:

إسماعيل، محمد إسماعيل (2001) دراسات في علم الأخلاق.
الصلابي، علي محمد (2021) أهمية الأخلاق في المنهج القرآني ودورها في تأسيس الجيل الأول، جريدة الشروق العربي.
بن دهيش، خالد عبد الله (1421ه) ، رؤى حول مدرسة المستقبل للبنات بالمملكة العربية السعودية ، ورقة عمل مقدمة لورشة العمل عن مدرسة المستقبل، مكتب التربية العربي لدول الخليج، المملكة العربية السعودية.
ابن مسكويه ، أحمد بن محمد، (1421) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تحقيق ابن الخطيب. القاهرة مكتبة الثقافة الدينية.
حامد، عمار وآخرون (2002) دليل الحفاظ على القيم العربية الأصيلة في سياق التغيرات الكوكبية، مؤتمر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس.
حبنكة، عبدالرحمن حسن (2004) الوجيز في الأخلاق الإسلامية، الطبعة الثانية، دار الريان، بيروت.
حبنكة والغزالي للشيخ عبد الرحمن حبنكة والشيخ محمد الغزالي (1430) الثقافة الإسلامية.
دراز، محمد عبدالله (1953) كلمات في مبادئ الأخلاق. القاهرة ،المطبعة العالمية.
الشهري، فاضل بن صالح (2019) الأخلاق في القرآن الكريم، مجلة تأصيل العلوم، العدد السادس.
عمر، أحمد مصطفى (2000)، إعلامية العولمة وتأثيره على المستهلك، المستقبل العربي، العدد 256، بيروت.
علي، آمال شحاتة مصطفى (2006)، القيم الأخلاقية المتضمنة في كتب التربية الدينية الإسلامية بالحلقة الثانية من التعليم الأساسي في ضوء المتغيرات العصرية، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر.
الغزالي، أبو حامد (2004) إحياء علوم الدين. بيروت: دار المعرفة.
الغزالي، محمد (1987) خلق المسلم دار الكتب الإسلامية، الطبعة الأولى.
القحطاني، سعيد بن علي بن وهف (2015) الأخلاق في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة، الطبعة الأولى، مكتبة الملك فهد الوطنية.
المسعودي، علاوي مزهر (2008) الأخلاق الإسلامية وأثرها في توحيد صف المسلمين، مجلة جامعة كربلاء العلمية-المجلد السادس، العدد الرابع.
المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (1946)، مكتبة وطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، مصر.